قد جاءكم القرآن الذي فيه البيان والحجج التي تبصرون بها الهدى من الضلالة والحق من الباطل وقيل
إن الآيات والبراهين سميت بأنفسها بصائر لأنها لقوتها توجب البصائر لمن عرفها ووقف
على حقائقها فلما كانت هذه الآيات والحجج والبراهين أسبابا لحصول البصائر سميت الآيات بصائر
فمن أبصر يعني فمن عرف الآيات واهتدى بها إلى الحق فلنفسه يعني فلنفسه أبصر ولها عمل
لأنه يعود نفع ذلك عليه ومن عمي يعني ومن جهل ولم يعرف الآيات ولم يستدل بها فعليها
يعني فعلى نفسه عمي ولها ضر وكان وبال ذلك العمى عليه لأن الله تعالى غني عن خلقه وما أنا (عمي)
عليكم بحفيظ يعني وما أنا عليكم برقيب أحصي عليكم أعمالكم وأفعالكم إنما أنا رسول من
ربكم أبلغكم ما أرسلت به والله هو الحفيظ عليكم لا يخفى عليه شيء من أعمالكم وأحوالكم
وقيل معناه لا أقدر أن أدفع عنكم ما يريد الله بكم وقيل معناه لست آخذكم بالإيمان أخذ
الحفيظ الوكيل وهذا كان قبل الأمر بقتال المشركين فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة بآية السيف
وعلى القول الأول ليست منسوخة والله أعلم قوله عز وجل وكذلك نصرف الآيات يعني وكذلك
نبين الآيات ونصرفها في كل وجه كما صرفناها وبيناها من قبل وليقولوا درست يعني وكذلك
نصرف الآيات لتلزمهم الحجة وليقولوا درست يعني قرأت على غيرك يقال درست الكتاب أدرسه
دراسة وقيل معناه لئلا يقولوا درست وقيل اللام فيه لام العاقبة ومعناه عاقبة أمرهم أن يقولوا
درست يعني قرأت على غيرك يقال درس الكتاب يدرسه دراسة إذا أكثر قراءته وذلله للحفظ قال
ابن عباس وليقولوا يعني أهل مكة حين تقرأ عليهم القرآن درست يعني تعلمت من يسار وجبر وكانا
عبدين من سبي الروم ثم قرأت علينا تزعم أنه من عند الله وقال الفراء معناه تعلمت من اليهود وقرئ
دارست بالألف يعني قارأت أهل الكتاب من المدارسة التي هي بين اثنين يعني يقولون قرأت على أهل
الكتاب وقرءوا عليك وقرئ درست بفتح الدال والراء والسين وسكون التاء ومعناه أن هذه الأخبار
التي تتلوها علينا قديمة قد درست وامحت من قولهم درس الأثر إذا محي وذهب أثره ولنبينه
لقوم يعلمون يعني القرآن وقيل معناه نصرف الآيات لقوم يعلمون قال ابن عباس يريد أولياءه
الذين هداهم إلى سبيل الرشاد وقيل معنى الآية وكذلك نصرف الآيات ليسعد بها قوم ويشقى
بها آخرون فمن أعرض عنها وقال للنبي صلى الله عليه وسلم درست أو دارست فهو شقي ومن تبين
له الحق وفهم معناها وعمل بها فهو سعيد وقال أبو إسحاق السبب الذي أداهم إلى أن قالوا درست
هو تلاوة الآيات عليهم وهذه اللام تسميها أهل اللغة لام الصيرورة يعني صار عاقبة أمرهم إلى أن
قالوا درست فصار ذلك سببا لشقاوتهم وفي هذا دليل على أن الله تعالى جعل تصريف الآيات سببا
لضلالة قوم وشقاوتهم وسعادة قوم وهدايتهم قوله تعالى اتبع ما أوحي إليك من ربك الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم يعني اتبع يا محمد ما أمرك به ربك في وحيه الذي أوحاه إليك وهو القرآن فاعمل به
وبلغه إلى عباده ولا تلتفت إلى قول من يقول دارست أو درست وفي قوله اتبع ما أوحي إليك من ربك تقوية
لقلب النبي صلى الله عليه وسلم وإزالة الحزن الذي حصل له بسبب قولهم درست ونبه بقوله تعالى
لا إله إلا هو سبحانه وتعالى واحد فرد صمد لا شريك له وإذا كان كذلك فإنه تجب طاعته
ولا يجوز تركها بسبب جهل الجاهلين وزيغ الزائغين وقوله تعالى وأعرض عن المشركين قيل
المراد منه في الحال لا على الدوام وإذا كان كذلك لم يكن النسخ وقيل المراد ترك مقاتلتهم فعلى هذا يكون
الأمر بالإعراض منسوخا بآية القتال قوله عز وجل ولو شاء الله ما أشركوا قال الزجاج معناه
لو شاء الله لجعلهم مؤمنين وهذا نص صريح في أن شركهم بمشيئة الله تعالى خلافا للمعتزلة لم يرد من
أحد الكفر والشرك والآية ترد عليهم وما جعلناك عليهم حفيظا يعني وما جعلناك يا محمد على هؤلاء
المشركين رقيبا ولا حافظا تحفظ عليهم أعمالهم وقال ابن عباس في رواية عطاء وما جعلناك عليهم حفيظا
تمنعهم

تمنعهم مني ومعناه أنك لم تبعث لتحفظ المشركين من العذاب إنما بعثت مبلغا فلا تهتم لشركهم
فإن ذلك بمشيئة الله تعالى وما أنت عليهم بوكيل يعني وما أنت بمقيم تقوم بأرزاقهم وما أنت عليهم
بمسيطر فعلى هذا التفسير لا تكون الآية منسوخة بآية السيف وعلى قول ابن عباس لا تكون منسوخة قوله عز وجل
ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم الآية قال ابن عباس لما نزلت
إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال المشركون يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون ربك فنهاهم
الله أن يسبوا أوثانهم فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال قتادة كان المؤمنون يسبون أوثان الكفار فيردون
ذلك عليهم فنهاهم الله عن ذلك لئلا يسبوا الله فإنهم قوم جهلة لا علم لهم بالله عز وجل وقال السدي لما حضرت
أبا طالب الوفاة قالت قريش انطلقوا بنا فلندخل على هذا الرجل فلنأمره أن ينهى عنا ابن أخيه فإنا نستحيي أن
نقتله بعد موته فيقول العرب كان عمه يمنعه فلما مات قتلوه فانطلق أبو سفيان وأبو جهل والنضر بن الحارث
وأمية وأبي ابنا خلف وعقبة بن أبي معيط وعمرو بن العاص والأسود بن أبي البختري إلى أبي طالب فقالوا يا أبا طالب
أنت كبيرنا وسيدنا وإن محمدا قد آذانا وآذى آلهتنا فنحب أن تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا ولندعه وإلهه
فدعاه فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال له أبو طالب إن هؤلاء قومك وبنو عمك فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم وما يريدون قالوا نريد أن تدعنا وآلهتنا وندعك وإلهك فقال له أبو طالب قد أنصفك قومك فاقبل منهم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم أرأيتم إن أعطيتكم هذا فهل أنتم معطي كلمة إن تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت
لكم العجم وأدت لكم الخراج فقال أبو جهل نعم وأبيك لنعطينكها وعشرة أمثالها فما هي فقال قولوا لا إله إلا الله
فأبوا ونفروا فقال أبو طالب قل غيرها يا ابن أخي فقال يا عم ما أنا بالذي أقول غيرها ولو أتوني بالشمس فوضعوها
في يدي ما قلت غيرها إرادة أن يؤيسهم فقالوا لتكفن عن شتمك آلهتنا أو لنشتمنك ونشتمن من يأمرك
فنزلت ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله يعني ولا تسبوا أيها المؤمنون الأصنام التي يعبدها المشركون
فيسبوا الله عدوا بغير علم يعني فيسبوا الله ظلما بغير علم لأنهم جهلة بالله عز وجل قال الزجاج نهوا
عن ذلك الوقت قبل القتال أن يلعنوا الأصنام التي كانت تعبدها المشركون قال ابن الأنباري هذه الآية
منسوخة أنزلها الله عز وجل على النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فلما قواه بأصحابه نسخ هذه الآية
ونظائرها بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقيل إنما نهوا عن سب الأصنام وإن كان في سبها
طاعة وسب رسوله لأن ذلك من أعظم المعاصي التي هي أعظم من ذلك وهو سب الله عز وجل وسب رسوله (وهو مباح لما يترتب عليه من المعاصي التي هي أعظم من ذلك وهي)
فلذلك نهوا عن سب الأصنام وقيل لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا آلهتهم
فيسبوا ربكم فأمسك المسلمون عن سب آلهتهم فظاهر الآية وإن كان نهيا عن سب الأصنام فحقيقته
النهي عن سب الله تعالى لأنه سبب لذلك وقوله تعالى كذلك زينا لكل أمة عملهم يعني كما زينا لهؤلاء
المشركين عبادة الأصنام وطاعة الشيطان بالحرمان والخذلان كذلك زينا لكل أمة عملهم من الخير والشر
والطاعة والمعصية وفي هذه الآية دليل على تكذيب القدرية والمعتزلة حيث قالوا لا يحسن من الله
خلق الكفر وتزيينه وهو قوله تعالى ثم إلى ربهم مرجعهم يعني المؤمن والكافر والطائع والعاصي
فينبئهم بما كانوا يعملون يعني في الدنيا ويجازيهم على ذلك قوله عز وجل وأقسموا بالله
جهد أيمانهم قال محمد بن كعب القرظي والكلبي قالت قريش يا محمد إنك تخبرنا أن موسى كان
له عصا يضرب بها الحجر فتنفجر منه اثنتا عشرة عينا وتخبرنا أن عيسى كان يحيي الموتى فأتنا بآية حتى
نصدقك ونؤمن بك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي شيء تحبون قالوا تجعل لنا الصفا ذهبا وابعث
لنا بعض موتانا نسأله عنك أحق ما تقول أم باطل وأرنا الملائكة يشهدون لك فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم إن فعلت بعض ما تقولون أتصدقونني قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعنك أجمعين وسأل المسلمون رسول
الله صلى الله عليه وسلم أن ينزلها عليهم حتى يؤمنوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يدعو الله عز
وجل أن يجعل الصفا ذهبا فجاء جبريل فقال ما شئت إن شئت أصبح ذهبا ولكن إن لم يصدقوك لنعذبنهم وإن
ان